

في قلب لبنان أنت

بقلم إبراهيم بخاش

رمزي، يا أختاً أمسى رمزاً للهزء بالموت. رمزاً لنا في كل قطاعاتنا أمسيت، وفي كل محاولتنا النضالية النامية في أفياء استشهادك. رمزاً يسطع في سماء المسيرة التحريرية منوراً طريقها إلى حيث مجد لبنان ينتظر. يا من تحدت كل ما هو منتقص من لبنانية لبنان وكل ما هو مشوه لقيمه. لم ولن يستطيعوا تغييرك مهما أماتوك وكيفما أهانوا جسدك الهيكل لروحك المظفرة التي لا يقدر أعداء وطنك على النيل منها حتى في أحلامهم. لا عن قضيتك استطاعوا أن يغيّبونك ولا عن أحد ممن رافقوك قدروا أن يبعثوك. رحيلك على غير ما كنا نرجو وتامماً كما كنا نتوقع، زادنا عناداً وصلابةً واعتناقاً لكل ما بأفعالك عملت وباستشهادك تبت.

أيقظت فينا حساً جديداً، أو ليست أحاسيسنا الوطنية منبثقة كلها عن نعمة الاستشهاد في سبيل قضيتنا؟ حياتك وموتك من الأمثولات الباقيات حية في ضمائرنا حتى النصر الذي أفنيت عمرك إعداداً له. وضعت نصب عينيك إما النصر وإما الموت. هنيئاً لك بالإثنين، بموتك مستشهداً، وبالنصر مقبلاً. لست أنت بجاهل كيف تقبلنا موتك وكأنه الأمنية تحققت والعهد حفظ. لا نندم على شيء ولا تتعثر في استيعاب الغدر بك بمثل الوحشية التي تتم عن معدنك المزغول.

ما موتك إلا أول إشعاعات النصر، فلتستريح روحك في جوار مبدعها. الضوء منها لم يخب وما من قوة تقدر على حجبها عنا. يبقى مشعلنا هذا الضوء. وعلى تألق شعاعه يتأكد للبنان نصر هو الحلم الذي حلمته ونحمله. هو العز كان ضائعاً فوجدناه، والكرامة كانت مغيبة فاشرقناها.

العزم والالتزام اللذان قويا فينا هما من بقايا عزمك والتزامك زرعهما نصبتي وفاء في ضمائرنا وقلوبنا لينميا سلاحاً به نرتد على المعتدي وبه نخلد ذكراك. أنبكيك؟ كلا لن نبكيك، بل نمتلئ عزة وعنفوناً في عرس شهادتك.

لوعة رفيقة حياتك، الحاضنة ملائكتك، يرنوان إلى رسمك المعلق على حائط البيت، وإيمان رفاق دربك يتصاعدان صلوات إلى الخالق لتتحقق أحلامك وليجعلنا أهلاً للسيرة قدماً في المسيرة التي لأجلها كان موتك. نم هادئ البال مرتاحاً، فالوديعة التي كانت حول عنقك مدلاة على صدرك، تتدلى على صدورنا اليوم وفي كل يوم.

في المسيرة الواحدة لوطن واحد امتلأت وامتلتنا به.

ليس في المقل دموع تذرف، بل قلوب تنبض افتخاراً بك يتسلل وقع نبضاتها في خلايا جثمانك لحناً تعزفه بطولتك فنطرب لها في مماتك كما كنا نطرب لنغمات جرأتك في حياتك.

استرح بمعية من سبقوك وهيئوا للاحقين أماكنهم. فالمسيرة مستمرة وستبقى حتى النصر.

في قلب لبنان أنت ولبنان في قلوبنا.